العدد 1628 - السنة السادسة
الجمعة 24 رمضان 1434 - الموافق 2 اغسطس 2013
Friday 2 August 2013 - No.1628 - 6th Year

عطش بائعة الكبريت !!

- من يستطيع الكتابة بهذا الوعي والصور المبتكرة يستحيل أن تأتي النصوص لديه مصادفة
- حالة شعرية تتأرجح بين العطش بكل تفاصيله وملامحه

- في وحدة النص لم تشطح عن الهم الأساسي في النص
- القراءة الأولى للنص التي نمر بها هي حالة من الفوضى الشعرية

حين تقرأ النص يجب أن تتمعن في النص جيدا، مهم جدا أن لا يؤثر أسم كاتب النص على محتوى النص ، بمعنى ليس بالضرورة أن تعرف كاتب النص وأن يكون أسماً معروفا في ساحة الشعر محزن جداً أن يكون الحكم على النص الشعري خصوصاً النسائي منه أن نرمي كرة الثلج صغيرة بـ من كتب لها النص؟؟

لتنتهي تلك الكرة الصغيرة بحجب الرؤى والرؤيا أمامي نص كتبته شاعرة سمّاها البحر « جمان» لذلك كوّنت النص بما يشبه اللؤلؤ استطاعت أن تغرف من بحر اللغة شعراً مذهلاً في تفاصيله ومواويله .

القراءة الأولى للنص التي نمر بها على النص هي حالة من الفوضى الشعرية الجميلة 4 مقاطع من النص كتبت عمودية و4 مقاطع كتبت من الشعر الحر» التفعيلة ربما لا يكون ذلك من باب الصدفة في هذا النص، من يستطيع الكتابة بهذا الوعي وهذا التناغم الشعري الجميل والصور المبتكرة والقدرة على الخلق يستحيل أن تأتي النصوص لديه مصادفة، بحثت في النص عن رابط مشترك بين الـ8 قصائد التي كتبتها « جمان» ووجدت عطش بائعة الكبريت يتسيد النص بشكل غريب، هو بالتأكيد ليس العطش للماء وحده فقط، بل وجدت في النص عطش البكاء، عطش الفرح، عطش الكتابة، عطش المشاعر، عطش الأمكنة والأزمنة،عطش الغناء، عطش الصمت، عطش الكلام، تشبه تفاصيل النص تلك الحالة التي يتركها الجدب على التربة من تشقق وتكسر،دلالات العطش كثيرة في النص بشكل مرعب، أَرْضِيْ يبَاس وْعُيُونِ الغِيْمْ عَطْشَانَة، حَتّى الزّمَنْ ...مِنْ جِفَافْ الحِلْمْ قَهْوَانِي، يجِفْ الصّوْتِ يَا دَلّو الكَلامْ وَمَا لقِيْت رِشَاه، وذَابْلاَت الوَرْد، ومَا لقِى عَطْشَاه، عَلى ذِمّة جِفَافْ وْلِيْل ..، وَلا شكْل السّمَا وشْلُوْن، أَدَوّرْ فِيْ هَجِيْرِيْ ظلّ

يصُبّ العشْبْ مِنْ مزْنِيْ، أحسّ إنّ السّمَا بالضّيْقْ مزْدَحْمَة أقَاسمْهُمْ جِفَافِيْ وأنْتَظِرْ « رَحْمَةْ سَحَابْ » يْمَرّرْ بصَدري مطَرْ تشْرِيْنْ يهِزّ اليَاسْ مِنْ جِذْعَهْ وْيِقْتَحْمَهْ، يَا التّعَبْ تحْرثْ هَوَا صَدْرِيْ، ويتْكَسّرْ طرِيْقَهْ تَحْتْ أَقْدَامِيْ، أَنَا يَا هَالشّتَا عَطْشَى، وْرِيْق الحَزْنْ بَلّلْتَه

تمَادَى بِيْ جِفَافْ المَا، وَانَا ابْنِي مِنْ حَنِيْنِي بِيْتْ
أَدَوّرْ قَلْبْ يشْبَهْنِيْ ..ومَرّ العُمْر مَا نِلْتَه

جمَيع الدّلالات السابقة في النص صور بالغة العطش لنص مرتوي شعرا وربما أجمل من يرى صورة الماء هم العطشى لذلك كان النص متفرداً وكانت «جمان» قادرة على التحكم في وحدة النص لم تشطح عن الهم الأساسي في النص وحين نعيد قراءات النص نجد أنها وإن لم تذكر العطش في دلالاته الواضحة الا انها تفتح الباب لتأويل عطش من نوع آخر قد يختلف عن التعبير المجازي لكلمة عطش لنبحث هنا في هذه الصور:

تَبّتْ يدِيْن الغِيَاب، وِيمْلاَنِيْ.. صدَى غِيَابْ، وأنَا مِنْ عَامْ أَجُوْب الحِلْمْ، هنَا كلّ البَلاَدْ الغَايْبَة..تقْرَا مَلاَمحْهَا.. عَلَى وَجْهِيْ، جَنِيْتْ أَقْسى مسَافَات الغِيَابْ وضَاعَتْ أَسْئِلْتَه

فَي المقاطع السابقة دلالات كثيرة للغياب الذي يثبت عطش الحضور الذي ربما يكون أكثر إنهاكا من عطش الماء،حالة شعرية تتأرجح بين العطش بكل تفاصيله وملامحه وبين حالاته الأخرى التي قد لا تؤدي إلى الماء استطاعت» جمان» أن تنسج نصاً شعرياً مرتوياً بعطشه وصوره الشعرية المتقنة البناء بتقنية شعرية عالية الفرادة ، لنبحث عن عطش آخر وبصورة مختلفة عن ما سبق لتوثيق حالة الظمأ التي اعترت كاتبة النص في تفاصيل بسيطة تؤدي لنهايات عميقة:

ويملّني اللّيْل، مِنْ دَلّني الليْل، واللّيَالي جرْد، والنّهَارْ أعْمَى، عَلَى ذِمّة جَفَافْ وْلِيْل، ومِيْلاَدْ السّهَر، وَأَنَا مَـ اعْرِف.. طرِيْق الصّبْح فِيْ عِيْنِيْ، ويَاخذْنِيْ المسَا منّي، تَحتْ شرْفَة مسَا مُرْهَق، بِرْكَنْ و شَارِعْ و ظلْمَا، زَهَابِيْ لَلْمسَا بَرْدْ وْحَنِيْن، أَمَانِيْ، والسّهَرْ وَاقِفْ،

وهنا تستمر «جمان» في عزف سيمفونية عطش بائعة الكبريت بشكل متقن أعادت للسلم الموسيقي ترتيباً جديداً يبدأ بالعطش وينتهي بالماء، الشعر في التفاصيل السابقة عطش للنور وسط هذه العتمة التي تستفحل وترمي بردائها على صباحات» جمان» والتي لم تأخذ من الصباح سوى « حكايا» لا تنتهي لكنها لا تؤدي إلى النور، « جمان» شاعرة ليست أكثر همومها أن يقال لها من يكتب لك؟ وليست آخر غيومها أن يقال لها هذا الشعر الذي تكتبين مدهش هي تكتب فقط لترتوي

تقول:

زَهَابِيْ لَلْمسَا بَرْدْ وْحَنِيْن وْدَمْعَة وْ « يَالِيْتْ »
جمان قلتي» دمعة» وليست « دموع»

ليست الحكاية ضرورة وزن أو مفردة لتكملة البيت كل الحكاية انها :

دمعة واحدة فقط
وعطش للبكاء

وَقْتِيْ فَقِيْر وْحَكَايَا الصُبْحْ تمْلاني
والجَرْح شَرّعْ شبَابِيْكَه و بِيْبَانَه
يمُرّنِي العُمْر مُكَرْهْ ويْتَعَدّانِي
ويمِلّنِي اللّيْل لِيْنْ تضِيْقْ جدْرَانَه
صَمْتِي شرَخَه «البكِي» والحُزْنْ غَنّانِي
أَشْعَلْ ذُنُوْب الحِنِيْن ومَلْ غفْرَانَه
كنْت أَبْذِر الشّمْس فِي كَفّيْ وألْقَانِي
عَلَى جَنَاح السّمَا أَخْتَار لِي خَانَه
كَنّا نطَرّزْ ثِيَاب المَوْعِد الثّانِي
كَانْ الأَمَلْ طفْلنَا ونْقَبّلْ اجْفَانَه
مِنْ دَلّنِي اللّيْل واحْزَانِي هِيَ أَحْزَانِي
أَرْضِيْ يبَاس وْعُيُون الغِيْمْ عَطْشَانَة
تَبّتْ يدِيْن الغِيَاب اللّيْ تحَدّانِي
عَيّا ينَام انْتِظَارِيْ والوَفَا خَانَه

« هُرُوْبٌ مِنَ المَدْخَل» :

حَتّى الزّمَنْ ...مِنْ جِفَافْ الحِلْمْ قَهْوَانِي
لَيْت الزّمَنْ مَاقَرَا حَطّيْ بفِنْجَانَه

عَلَى حَدّ العَطَشْ والمَاءْ هَارِبْ واللّيَالي جرْد
يجِفْ الصّوْت يَا دَلّو الكَلاَمْ وَمَا لقِيْت رِشَاه
تَأَرْجَحْ بِيْ رُمَاد الوَقْتْ أَنَا والطّاولَة والنّرْد
خَذْتْنِيْ ضَرْبَة الحظْ البخِيْل اللّي نسَى مَمْشَاه
وَأَنَا طِفْلَة تَهَاب الأَمْكنَة والمدْخَنَة و البَرْد
تحَاوْل ترْسِمْ الأَحْلاَمْ بالأَلْوَان والفُرْشَاة
أَصَابِيْعِي مسَاكِيْنْ الطّمُوحْ وذَابْلاَت الوَرْد
تلُوّحْ والنّهَارْ أَعْمَى يدُوْر ومَا لِقَى عَطْشَاه

وَأَنَا تَغْرِيْبَةَ العُمْرَ القدِيْم اللّي كتبْنِي سَرْد
عَلَى سجّادتِي يَنْبَتْ أَذَانَه والفَجرْ يغْشَاه
وتنْدَهْلِيْ مَلامِحْهم
وذَكْرَاهُم
وتَخْفِضْ لِي جَنَاحْ الهَمّ
يْعَزْف الضّيْقْ فِيْ صَدْرِي
ويمْلاَنِيْ
صدَى غِيَابْ
تَرَا « كذْبَة » إذَا قَالُوْا :
« إذَا ضَاقْ الفَضَا بك غَنْ »
خَذَتْ صُوْتِيْ أَغَانِيْ الرّيْحْ
وهَذَا الضّيْقْ مِنْ يُوْمَه
تُوَحّدْ بِيْ
وْغَنَانِيْ
وألْقَانِيْ ..
عَلَى ذَمّة جفَافْ وْلِيْل ..
أَنَادِيْ مِنْ وَرَا صُوْتِيْ
عَلَى أَحْبَابِيْ
ومِيْلاَدْ السّهَر يرسِم
حَكَايَاهُم
عَلَى بَابِي
وَأَنَا مَـ أَعْرِف
طرِيْق الصّبْح فِيْ عِيْنِيْ
وَلاَ شكْل السّمَا وشْلُوْن
وهُمْ يدْرُوْن
– والعُهْدَة عَلَى ظَنّيْ –
بأَنِيْ – وإنْ كتبْنِي الصّمْتْ
أَدَوّرْ فِيْ هَجِيْرِيْ ظلّ
يصُبّ العشْبْ مِنْ مزْنِيْ
وَأَاشرْ بَآخرْ أَطْرَافْ الـ
جِيَاعْ اللّيْ مَلّوْا حزْنِيْ :

عَلَى صَدْرِيْ
هنَا بَعْضَ الكَلاَمِ يشِيْخ
هَنَا كلّ البلاَدْ الغَايْبَة
تَقْرَا مَلامحْهَا
عَلَى وَجْهِيْ
وتِهْجِرْنِيْ الأَمَانِيْ والقصَايدْ لِيْنْ
أَحِسّ إنّ السّمَا بالضّيْقْ مزْدَحْمَة
وفِيْ كَفّيْ : « رَغِيْفْ وْ مَوْعِدْ وْ إسْمِيْنْ »
أَقَاسمْهُمْ جِفَافِيْ وَأَنْتَظِرْ « رَحْمَةْ سَحَابْ » يْمَرّرْ بصَدري مطَرْ تشْرِيْنْ
يهِزّ اليَاسْ مِنْ جِذْعَهْ وْيِقْتَحْمَهْ

ويَاخذْنِيْ المسَا منّي
ينَادِيْ كذْبَة الأَحْلاَمْ
وأَنَا مِنْ عَامْ
أَجُوْب الحلْمْ
ويتْكَسّرْ طرِيْقَهْ تَحْتْ أَقْدَامِيْ
ولا أَعْرِف
أَدَارِيْنِيْ

تحَاوْل يَا التّعَبْ تحْرثْ هَوَا صَدْرِيْ ؟! :« أَنَا مَلّيْتْ»
سنِيْنْ عجَافْ يَطْوِيْنِيْ عَنَاهَا وْ مَا تحَمّلْتَه
تَحَتْ شُرْفَةْ مسَا مُرْهَقْ يسُوْلْفْنِيْ الشّتَا ونْبِيْت
نعِدّ وْجِيْه خِيْبَتْنَا وْصُوْتِي بالحَزْنْ شِلْتَه
برُكْنْ و شَارِعْ و ظَلْمَا كَأَنّيْ « بَائِعَةْ كَبرِيْت»
تشِبّ أَعْوَادْ وحْدَتْهَا جفَا والصّبْح مَا طِلْتَه
زَهَابِيْ لَلْمسَا بَرْدْ وْحَنِيْن وْدَمْعَة وْ « يَالِيْتْ»
أَمَانِيْ، والسّهَرْ وَاقِفْ يكَلّمْنِيْ وَأَنَا قِلْتَه
عَزَفْت بأَصْبعِيْنِيْ نَايْ دُوْزَنْت البُكَا غَنّيْت
سَرَقْتْ أَفْوَاه يشْرَبْهَا الكَلاَم وْمَا تحَمّلْتَه
زَرَعْت بْتَكّة السّاعَة عَنَاوِيْنِيْ بلا تَوْقِيْت
جَنِيْتْ أَقْسى مسَافَات الغِيَابْ وضَاعَتْ أَسْئِلْتَه
أَنَا مَاكِنْت أَحْسب إنّ الغِيَابْ غِيَابْ لَوْ مَا جِيْتْ
أَنَا يَا هَالشّتَا عَطْشَى، وْرِيْق الحَزْنْ بَلّلْتَه
تمَادَى بِيْ جِفَافْ المَا، وَانَا ابْنِي مِنْ حَنِيْنِي بِيْتْ
أَدَوّرْ قَلْبْ يشْبَهْنِيْ ..ومَرّ العُمْر مَا نِلْتَه

شكرا جمان هذا العطش الذي إرتوت منه ذائقة المتلقي .

عارف سرور

بداح العنقري

هو بداح العنقري من العناقرة من « بني تميم » القبيلة العربية المعروفة ، ومن العناقرة أسر معروفة بنجد منهم شيوخ وعلماء دين لهم شهرتهم الواسعة على مر العصور حتى أصبحوا مضرباً للمثل في سعة الاطلاع في أمور الدين والإفتاء يقال لمن يفتي بغير علم لو كنت العنقري أي أن العنقري لا يفتي بغير علم مطلقاً بداح العنقري أو كما ينطقها البعض العنجري تاجر من أهل الحضر ، لديه دكان في سوق إحدى قرى نجد وكان البدو ينزلون القرى ويكتالون بالدّين «السمن والسمين» على حد قولهم ، فيولوا صاحب الدكان حقه وهكذا ونظراً لطبيعة تعامل بداح العنقري مع أهل البادية فقد كون علاقات جيدة مع البدو نظراً لما يتمتع به بداح من سمعة طيبة وتعامل نظيف وفي إحدى السنوات نزلت قبيلة من قبائل البادية بالصيف بالقرب من قرية بداح ، ونظراً لما يربط بداح بهذه القبيلة من علاقات فقد خرج لهم وسلم عليهم وأعطاهم ما يحتاجونه من مؤن وصادف أن رأى فتاة جميلة في هذه القبيلة أعجبه جمالها ، وكان والدها رجلاً كريماً يعرفه بداح من تعامله معه ، فقرر بينه وبين نفسه خطبتها ، ولما رحل البدو وعادوا إلى منازلهم في بداية الموسم ركب بداح وتبعهم ونزل ضيفاً على والدها الذي أحسن استقباله وقام بواجبه فالرجل شهم كريم وبداح يستحق حسن الاستقبال لما له من أفضال على تلك القبيلة وبعد أن قام والد الفتاة بواجب الضيافة فاتحه بداح برغبته بالاقتران بابنته طمعاً بنسبه فلم يكن للوالد بد من الموافقة على طلب بداح ولكنه اشترط موافقة الفتاة أولاً ، لأن بداح سوف يأخذها للقرية إذا تزوجها ، ومن هنا كان لا بد من أخذ رأيها وكانت الفتاة بالجزء الثاني من بيت الشعر الذي يفصل المجلس عن المخدع وهو لا يعزل الصوت وكان بداح يسمع حوارها مع والدها قال لها الوالد : بداح يريد الزواج منك وسيأخذك لقريته فما رأيك ؟ أجابت الفتاة : الحضري لي خيال نظره زين تصفيح لا يصلح لي ولا أصلح له وهي تعني أن أهل الحضر ذوو هيئة وملابس نظيفة فقط ، لذا فهم لا يصلحون لها سمع بداح ما دار بين الوالد والفتاة ، وسكت . . . ولما عاد الوالد حاول أن يعتذر لبداح بأية طريقة وقبل بداح عذره وشكره وطل المبيت عندهم حتى الصباح ليعود ثانية من حيث أتى !

وفعلاً بات عندهم تلك الليلة وفي الصباح الباكر وقبل رحيل بداح حصل أن أغار قوم على أهل الفتاة وأخذوا حلالهم كله وابتعدوا به ، فصاح الصياح بالمضارب وهرع القوم للحاق بإبلهم وتخليصها من أيادي الغزاة هذا كله وبداح جالس يشرب القهوة ولا يحرك ساكناً والفتاة تنظر إليه بازدراء وهي تردد على مسامعه : هذا الرجل «خيال نظره « اي مجرد شكل وهو لا يكترث لها ولما جاء الضحى عادت فلول القوم منهزمة لم تستطيع تخليص حلالها من أيدي الغزاة وفي هذه اللحظة تناول بداح سيفه ورمحه وركب فرسه وأغار بطلب الغزاة وحيداً والفتاة تنظر إليه ولما جاء العصر عاد بداح وقد هزم الغزاة وحيداً وأعاد الحلال كاملاً ومعه خيل الأعداء ، وبعضهم مأسورين فتعجبت القبيلة كلها من فروسيته وهو الضيف الذي لا يلزمه شرع البدو بمناصرة مضيفيه إلا من باب النخوة . . . شعرت الفتاة بالخجل لما قالته له فوقفت تزغرد له كأنها تعتذر وتقول قبلت الزواج بك ولما وقف بالقرب منها أنشد هذه الأبيات :

الله لحد يا ما غزينا وجينا
ويا ما ركبنا حاميات المشاويح
ويا ما على أكوارهم اعتلينا
ويا ما ركبناهن عصيرن مراويح
ويا ما تعاطت بالهنادي يدينا
وراك تزهد ياريش العين فينا
تقول خيال الحضر زين تصفيح
الطيب ما هو بس للظاعنينا
مقسمن بين الوجيه المفاليح

البدو واللي بالقرى نازلينا
كلن عطاه الله من هبّة الريح
يوم الفضول بحلتك شارعينا
بالشلف ينحونك سوات الزنانيح
يوم انجمر رمحي خذيت السنينا
وادعيت عنك الخيل صمّ مدابيح
هيا عطينا الحق هيا عطينا
وإن ما عطيتيناه والله لا صيح
أصيح صيحة من غدالله جنينا
وإلا خلوجن ضيعوها السراريح

يا عود ريحانن بعرض البطينا
ومنين ما هب الهوا فاح له ريح
لا خوخ لا رمان ولا هو بتينا
مشمش البصرة ولا بالتفافيح
وخدن كما قرطاستن في يمينا
وعيون نجل للمشقا ذوابيح
صخف بلطف بانهزاع بلينا
يا غصن موزن هزعه ناسم الريح

ولما أكمل العنقري قصيدته وسمعت الفتاة كلامه كما سمعه أبناء قومها أهدت نفسها إليه زوجة فرفضها كما رفضته هي من قبل وعاد من حيث جاء وتركها تعض أصابع الندم حيث لا يجدي !!